



الإمام الحسين..

أروع أمثلة شهدا تاريخ الشموخ والتضحيات والبطولات

• الشيخ / إسماعيل الأشول

sea_546@hotmail.com.

إذا كنا نحتفل بهذا الشهر الكريم فلا ننسى أن نحتفل بذكرات الأئمة الأطهار عليهم السلام، ونستلهم منهم في هذا الشهر الكريم الدروس والعبر بما يفيدنا لحاضرنا وبناء مستقبلنا، فإننا نهتم بهم، لنستضيء بسيرة أهل البيت «ع» ونستهدي بتوجيهاتهم وإرشاداتهم، وفي هذا العدد إمامة شريفة بحياة الإمام أبي عبدالله الحسين بن أمير المؤمنين عليهما السلام، سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، وخامس أصحاب الكساء، والمزده عن الرجس بنص القرآن الكريم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فهو عليه السلام صورة للخلق المحمدي، والكمال العلوي، ومجمع الفضائل والمكارم، والمثل العليا، وسيد آية الضيم، ومنه تعلم الناس الإباء، ويموقفه يوم عاشوراء أعطى الأمة الإسلامية درساً عملياً في مجابهة الظالمين، والوقوف في وجه العتاة الكافرين.

وإذا كان للتاريخ أن يقف وقفة إجلال أمام أروع أمثلة للشموخ.. وإذا كان للدنيا أن تكبر لأروع تضحية سجلها تاريخ الفداء.. وإذا كان للإنسانية أن تتحني في خشوع أمام أروع أمثلة للبطولة.. فشموخ الحسين وتضحية الحسين، وبطولة الحسين أروع أمثلة وشهدا تاريخ الشموخ والتضحيات والبطولات.

فهو هو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

• مولده عليه السلام: ولد بالمدينة في الثالث من شعبان في سنة ثلاث أو أربع من الهجرة وكانت مدة حملته ستة أشهر، ولما ولد جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستبشر به وأذن في اليوم السابع سمّاه حسينا وعق عنه بكبش وأمر فاطمة أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة كما فعلت

بأخيه الحسن فامتثلت ما أمرها به. كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ربة ليس بالطويل، ولا بالقصير، واسع الجبين، كث اللحية، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، رجب الكفين والقسمين، رجل الشعر، متماسك البدن، أبيض مشرب بجمرة، نشأ في ظل جده صلى الله عليه وآله، فكان هو الذي يتولى تربيته ورعايته. • شهادته: قتل عليه السلام شهيداً في

كربلاء من أرض العراق عاشر المحرم سنة ٦١ من الهجرة بعد الظهر مظلوماً ظلمان صابراً محتسباً، وكان عمره عليه السلام يوم قتل ٥٦ سنة، عاش منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين أو سبع سنين وشهوراً، وقال المفيد: سبع سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين ٢٧ سنة، ومع أبيه بعد وفاة جده صلى الله عليه وآله ٣٠ سنة إلا أشهراً، ومع أخيه الحسن ٤٧ سنة، ومع أخيه بعد وفاة أبيه نحو عشر سنين، وبقي بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام إلى وقت مقتله عشر سنين، لازم أباه أمير المؤمنين عليه السلام وحضر مدرسته الكبرى ما يناهز ربع قرن، اشترك في حروب ثلاث مع أبيه: الجمل، صفين، النهروان.

• وأما القاب عليه السلام فكثيرة: الرشيد، والطيب، والوفي، والسيد، والزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والسبط، وسيد شباب أهل الجنة، والدليل على ذات الله تعالى، والشهيد، والمظلوم الشهيد السعيد، وأفضل ثقات الله، والثائر بنفسه لله، والمنتم من أعداء الله وأجل الأسرى، والإمام المظلوم، والأسير المحروم، والقتيل المرجوم، والإمام الشهيد، والولي الرشيد، والوصي السديد، والطريد الفريد، وذو النسب العلي، والإمام الرضي، وأبو عبدالله الحسين، ومنبع الأمة، وشافع الأمة، وعبرة كل مؤمن ومؤمنة، وأطيب العرق، وصاحب المحنة الكبرى والواقعة العظيمة، وعبرة المؤمنين في دار البلوى، ومن كان بالإمامة أحق وأولى، والمقتول بكربلاء، وأبن علي المرتضى، وزين المجتهدين، وسراج الموكلين، ومفخر أئمة المهتدين، وبضعة كبد سيد المرسلين، ونور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية، وشرف غرس الأحساب الرضوية، والمقتول بأيدي شر البرية، وطالب النار يوم الصراط، وأكرم العترة، وأزهر البدر، ومعظم مكرم موقر منصف مطهر، وأجمل الخلق، وأطيب العرق، ومجتبى الملك الغالب، والحسين بن علي بن أبي طالب.

• وكنيته: أبو عبدالله، والخاص: أبو علي.

كان كرمه عليه السلام كرمياً توارثه عن جده صلوات الله عليه وآله وسلم فيروى أنه دخل عليه السلام على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: وأغماء، فقال: وما غمك؟ قال ديني وهو ستون ألف درهم، فقال: هو علي، قال: إني أخشى أن أموت قبل أن يقضى، قال: لن تموت حتى أقضيها عنك فقصها ما قبل موته، ولما أخرج مروان الفرزدق من المدينة أتى الفرزدق الحسين عليه السلام فأعطاه الحسين أربعمائة دينار، فقيل له: إنه

شاعر فاسق، فقال: إن خير مالك ما وقبت به عرضك، وقد آتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعب بن زهير وقال في العباس بن مرداس: أقطعوا لسانه عني. وروى ابن عساکر في تاريخ دمشق: أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرر الباب وأنشأ يقول: لم يخب اليوم من رجاك، ومن حرك من خلف بابك الحلقة، فانت ذو الجود أنت معدنه، أبوك قد كان قاتل الفسقة وكان الحسين واقفاً يصلي فخفف من صلواته وخرج إلى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرر وفاقة فرجع ونادى بغنبر فأجابه: ليك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما تبقى معك من نفقتنا؟ قال: ماأنا درهم، أمرتني بتفريقها في أهل بيتك، فقال: هاتنها فقد أتى من أحق بها منهم، فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابي، وأنشأ يقول: خذها فأني إليك معتذر، وأعلم بأني عليك ذو شفقة لو كان في سيرنا الغداة عصاً كانت سمناً عليك متدفقة لكن ريب الزمان ذو نكد والكف منا قليلة النفقة.

فأخذها الأعرابي وولى وهو يقول: مطهرون نقبات جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا وأنتم أنتم الأعلون علمتم علم الكتاب وما جاءت به السور من لم يكن علواً حين تنسبه فما له في جميع الناس مفتخر.

وفي تحف العقول: جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة فقال: يا أبا الانتصار صن وجهك عن مذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقة فإني أت فيها ما هو سارك إن شاء الله فكتب يا أبا عبدالله إن لفلان علي خمسمائة دينار وقد ألح بي فكلمة أن ينظرني إلى مسيرة فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار وقال له: أما خمسمائة فأقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلا إلى ثلاثة إلى ذي دين أو مروءة أو حسب، فأما ذو الدين، فيصون دينه، وأما ذو المروءة فإنه يستحي لمروءته، وأما ذو الحساب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك، ولقد كانت رافته بالمسكين وإحسانه إليهم تعجز أن تسطرها حروف فيروى أنه وجد على ظهره عليه السلام يوم الطف أثر ففستل زين العابدين عليه السلام عن ذلك فقال: هذا مما كان يتقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل والبياتمي والمسكين.

• زوجاته: وأما زوجاته عليهن رضوان الله تعالى ليلي أو برة بنت أبي عروة بن مسعود الثقفي أم علي الأكبر، وشهره بانويه «شاه زنان» بنت كسرى ويزيدجرد ملك الفرس أم السجاد وعلي الأوسط،

الرباب بنت امرئ القيس بن عدي أم محمد وعبدالله، وقضاعبة أم جعفر وأم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التميمي، أم فاطمة رضوان الله عليهن جميعاً لما لهن من مآثر بعد مقتله.

• أولاده: وأما أبناؤه عليه السلام علي الأكبر الشهيد وعلي الإمام وهو علي الأوسط وعلي الأصغر ومحمد، وعبدالله الشهيد من الرباب وجعفر، وبناته سكينه بنت أم الرباب وفاطمة وزينب ورقية، وأعقب الحسين عليه السلام من ابن واحد وهو زين العابدين وابنتين عليهم رضوان الله تعالى، وفي «كشف الغمة» قيل: كان له عليه السلام ست بنين وثلاث بنات علي الأكبر الشهيد معه في كربلاء، والإمام زين العابدين، وعلي الأصغر ومحمد وعبدالله الشهيد معه وجعفر، وزينب وسكينه وفاطمة، وقال الحافظ عبدالعزیز الجنايدي: ولد للحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ستة منهم أربعة ذكور وابنتان كما مذكور آنفاً، وقال الزهري: ما رأيت هاشمياً أفضل منه.

• تواضعه: مر عليه السلام بمسكين وهم يأكلون كسراً على كساء فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم، وقال: لولا أنه صدقة لأكلت معكم، ثم قال: قوموا إلى منزلي فاطعمهم وكساهم وأمر لهم بدرهم، وروى ابن عساکر في تاريخ دمشق أنه عليه السلام مر بمسكين يأكلون في الصفة فقالوا: الغذاء، فنزل، وقال: إن الله لا يحب المتكبرين فتغدى، ثم قال لهم: قد أجبتمك فأجيبوني، قالوا: نعم فمضى بهم إلى منزله، وقال للرباب خادمتها: أخرجي ما كنت تدخرين.

• حلمته: جنى غلام له جنابة توجب العقاب فأمر بضربه فقال: يا مولاي والكاظمين الغيظ، قال: خلوا عنه، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس، قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي والله يجب المحسنين، قال: أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطتك.

• فصاحته وبلاغته: ربي الحسين عليه السلام بين رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم، أفصح من نطق بالضاد، وأمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان كلامه بعد كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمة الزهراء التي تفرغ عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله، فلا غرو إن كان أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء وهو الذي كان يخطف يوم عاشوراء وقد اشتد الخطب وعظم البلاء وضاق الأمر وترادفت الأحوال فلم يزعه ذلك ولا اضطرب ولا تغير وخطب في جموع أهل الكوفة بنجان قوي وقلب ثابت ولسان طلق ينحدر منه الكلام كالسيل فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبغ في منطق

منه، وهو الذي قال فيه عدوه وخصمه في ذلك اليوم: ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر.

• شجاعته: أما شجاعته فقد أنست شجاعة الشجعان وبطولة الأبطال وفروسية الفرسان، فهو الذي دعا الناس إلى المبارزة فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل مقتلة عظيمة، وهو الذي قال فيه بعض الرواة: والله ما رأيت مكتوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، وأربط حاشياً، ولا أمضى جناناً ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، وإن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتتكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، وهو الذي حين سقط عن فرسه إلى الأرض وقد انخن بالجرار، قاتل واحداً قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية ويفترص العورة، ويشد على الشجعان وهو يقول: أعلى تجتمعون، وهو الذي جن الشجعان وأخافهم وهو بين الموت والحياة حين بدر خولي ليحتر رأسه فضعف وأرعد، هو من قال: «إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذي» ولا تنسى تلك الوقفة التاريخية مع عياله ليودعهم وهو يوصيهم: «استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميك وحافظكم، وسينجيك من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوك بانواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بانواع النعم والكرامة فلا تشكو ولا تقولوا بالسنتكم ما ينقص قدركم». عاش بعد أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين كان فيها الإمام المفترض الطاعة -علي رأي طائفة عظيمة من المسلمين- وسبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وريحانته وثاني الثقلين اللذين خلفهما صلى الله عليه وآله في الأمة -الكتاب والعترة- وسيد شباب أهل الجنة بإجماع المسلمين.. هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، ونقطة من بحر، فكانت حياته «عليه السلام» زاخرة بالفيض والعتاة، وكانت حياته شعلة غرست النور في درب الحياة، وشحنة فسيرته لا تستوعبها كتب، وله وجهات نظر في أوضاعنا فجدير بنا اليوم أن نجعل من حياة الإمام الحسين عليه السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام علماً تسير على هداية، وطريقاً نترسمه في سيرها الجهادي الطويل، ليعود لواء الإسلام خفياً من جديد على أرجاء المعمورة، وينادي بكلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» في كل قطر من أقطار المعمورة.